تقديم

عقــدت الجمعية المغربية للبحث التاريخي أيامهــا الوطنية الثانية والعشريـن، بشراكة مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة في موضوع: **مجالات الجوار المغربية: اســتحضار لمــاض تواصلي عريق**، أيــام 04-03-02 أبريل 2015، وذلــك اعتبارا لأهمية التآلف والتعايش والتداخل الذي ميز العلاقة بين المجالات الجوارية المغربية مع جاراتها عبر التاريخ، وإيمانا بأهمية الدور الذي يمكن أن يضطلع به اســتحضار التاريخ من أجل إحداث ثورة نفســية تزيح كثيرا من جليد السياســة، وتعري عــن حقيقة العلاقة التي ينبغي أن تؤسس بين هذه المجالات.

تُســائل الجمْعية المغربية للبحــث التاريخي، وهي تنفتح عــلى هذا الموضوع، مفارقات السياســة في بعدها الدولي، ذلك أن أوربا التي ســطرت بعضا من حدود دول المغــرب الكبــير، دون أن تقيم أي اعتبار لجغرافية أو تاريخ هذه المجالات، تشــهد منذ ســنوات طوال عمليات مراجعــة لحدودها الســيادية التي تخترق جســدها وذاكرتها التاريخية، وتعمل على تمتين وحدة تُوائم بين الســيادة السياسية والمعطيات الجغرافية والسكانية والإثنية والتاريخية وغيرها، وذلك بغرض تجاوز الصراعات والحروب المدمرة وســوء الجوار. وعلى عكس هذا المســار، ما تزال دول المغرب الكبــير رهينة الجغرافية السياسية بثقلها الصدامي والسيادي مجافية بذلك حقائق الواقع والتاريخ والديموغرافيا والجغرافيا والدين والثقافة. فمجتمعات المغرب الكبير لم تعرف الحدود، بمعناها المعاصر، إلا مع صدمة الاســتعمار. ومع غياب المشــاريع السياســية والمجتمعية والثقافية، تظل

مجالات الجوار مهـددة بتوجهات، خارجية وأخرى داخليـة، ترنو إلى تفكيك العلاقات التاريخيـة، وتبديد الوعي الجمعي، وإضعاف الشـعور بالانتـماء إلى جغرافيا جامعة، ومشترك حضاري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ.

وإذا كان من الممكن للمتخصصين في علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، والمشـتغلين في الاقتصـاد وغيرهم، الإسـهام في إثبات الصلات الوثيقـة التي تجمع بين مجـالات الجوار في المغرب مع جاراتها، فإن للتاريخ دور أسـاس في هذا الصدد؛ إذ قبل أن يرسم الاستعمار خطوطه على خارطة المغرب الكبير، وبعد ذلك أيضا، ظلت مجالات الجوار في المغرب شرقا وشمالا وجنوبا تأبى أن تخضع لمنطق الجغرافية السياسية؛ فحتى في أزمنـة الصراع والخلافات السـيادية بين المغرب ودول الجـوار، كانت هذه المجالات وفية لجوار حضاري قديم، وأرضا ممتدة لا تأبه بالخرائط والرسوم، وإرثا مشتركا يرفض الانشطار، ويُصر على تبادل الخبرات والعادات والمعتقدات.

لقـد كان طمـوح الجمعية المغربيـة للبحث التاريخي كبـيرا، وهي تقترح على عمـوم الباحثين بالمغرب وخارجه الإسـهام في هذا الموضوع، حيـث اختارت له محاور كبرى للاشـتغال، من مثيل أوجه التواصل والتلاقح الثقافي، ومظاهر التعايش والانصهار الاجتماعي، وعناصر التكامل الاقتصادي بينها، بل والتساؤل عن آفاق العلاقة بين مجالات الجوار هذه سـعيا منها لتحقيق تواصل أكبر مـع التخصصات العلمية الأخرى المجاورة للتاريخ. وقد توصلت الجمعية بكم هائل من مقترحات الباحثين في هذا الصدد، غير أن حرصها على الالتزام بالورقة المؤطرة للموضوع، جعلها تسـتبعد، مضطرة، مجموعة من المقترحات بدت بعيدة عن الفكرة وأهدافها. وهي فرصة أخرى لتجدد الجمعية شكرها لكل من تواصل معها في هذا الصدد.

تحـضر في الأعـمال المقدمة في هذا الكتاب مسـألة الجوار الصعـب مع الجارة الجزائـر أكثر مـن غيرها، ولعلها كذلك لأننـا في مدينة وجدة حيـث تتبدى معالم هذا

الجــوار جلية للعيان، ولأنها تجســد، أكثر من غيرها، قضيــة مناطق الجوار حين تتمكن مشــاكل الجغرافية السياســية والاختيارات السياســية للمراكز وثقل الإرث الاستعماري من إخفاء كل ما يجمعها من إرث تاريخي عريق. وفي هذا الإطار، تســتدعي إســهامات الباحثين في هذا العمل ما تقاسمته ساكنة مجالات الجوار هذه، على مدى زمني طويل، من عناصر مشــتركة في الأصــول واللغة والدين والمذهب والحضارة، حين شــكلت، وما تــزال، معبرا لانتقال وتبادل الســلع والأفــكار والمعتقدات والعلم والتصــوف...، مثلما تنقــل عبرها العلماء والفقهــاء والمتصوفة والحجاج والتجــار دون أن يصطدم تحركهم بإملاءات السياسة وأصحابها، واندمجت الكثير من أسرها وتشابكت فيها علاقات القرابة والمصاهرة، واشتركت في الكثير من العادات المرتبطة بحياتها اليومية، مثلما تشابهت فيها أنماط العيش وأشكال البناء والمعمار وغيرها.

لم تغفــل الأعــمال المتضمنة في هــذا الكتاب نقد المقاربــات المغرقة في الذاتية والخاضعة لإملاءات السياســة، والتي لم تتردد في اعتماد أســلوب انتقائي يلوي عنق كثير من الحقائق، مما أسهم، بشكل كبير، في تسميم طريقة التعامل مع تاريخ الجوار المغربي - الجزائري، وكذا نقد الطرح المعتمد على الذاكرة الجماعية، والدعوة بالمقابل إلى اعتماد مقاربة علمية كفيلة بإماطة اللثام عن تقلبات هذا الجوار، والإفصاح عن جذورها، منذ وصــول الأتراك العثمانيين خلال القرن 16، مروراً بالاحتلال الفرنسي ســنة 1830، إلى أن حصل المغرب ثم الجزائر على استقلالهما، وما استتبع تلك التقلبات من وقع عميق على ساكنة مجالات الجوار بينهما.

علاوة عن قضايا الجوار الصعب مع الجارة الجزائر، تستحضر أعمال هذا الكتاب مجالات الجوار المتوسطية المثقلة بتاريخ طويل من التفاعل والتواصل المستمر، والمتأثرة بكثير من المتغيرات؛ ومنها الاحتلال الإيبيري لبعض الثغور المغربية الشــمالية ابتداء من القرن الخامس عشر، ومتغيرات القرن التاســع عشر التي أفرزت أوربا متوثبة وموسومة

بنزعة إمبريالية توسـعية، وصولا إلى مرحلة الاسـتعمار الفرنسي والاسباني للمغرب. وفي هـذا، تحضر مجالات الجوار المتوسـطية في ثنايا مقالات هـذا العمل كفضاء للعلاقات الصداميـة التي لطالما كانت بين المغرب وجيرانه في الشـمال أحيانا، مثلما تحضر لتثبت أدوارها في تحقيق تواصل حضاري وثقافي واقتصادي بين ضفتي المجال المتوسطي، خاصة في الحوض الغربي منه، أحيانا أخرى.

وسـواء تعلق الأمر بمجالات الجوار الشرقية أو المتوسـطية، فقد كشـفت هذه الدراسـات أن ساكنة هذه المناطق لم تكن تشـعر أصلا أنها تعيش في مجالات تماس إلا عندما تتعرض لإكراهات السياسة والحرب، اللهم إذا استثنينا بعضا من تناظر الجوار ذي الأبعاد الثقافية والذي لا يكاد يخلو منه مجال من المجالات.

مـن زاوية أخرى، غابت مجالات الجوار الجنوبية في صفحات هذه الأعمال، عن غير قصد ولأسـباب مرتبطة بطبيعة المقترحات المقدمة للجنـة العلمية في هذا الصدد، ولتعذر توصلنا ببعض الإسهامات، رغم اقتناعنا التام بالأهمية التاريخية لهذه المجالات، والأدوار الكـبرى التي اضطلعت بها في تفاعل المغرب مع عمقه الإفريقي إلى يومنا هذا. ولعلهـا تكون موضوعا مسـتقلا لعمل آخر نرجو أن تخصـه الجمعية المغربية للبحث التاريخي بلقاء علمي آخر مستقل في قادم الأيام.

في الأخـير، أتوجه بالشـكر العميق إلى الإخوة أعضاء مكتـب الجمعية المغربية للبحث التاريخي على ما بذلوه من جهد في إعداد أعمال هذا الكتاب، وللسـادة الأجلاء أعضاء اللجنة العلمية لما قدموه من مسـاعدات في فحصها ومراجعتها، وللسـيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسـانية بوجدة على تفضله بنشرها. والشـكر موصول أيضا لكل من أسهم معنا في إخراج هذا الكتاب ووضعه رهن إشارة الباحثين والقراء.

حميد تيتاو

الفهرس

تقديم 5

كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة 9

كلمة رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي 13

كلمة اللجنة المنظمة 19

أية مقاربة لدراسة مجالات الجوار المغربية؟

هرو عزي 25

من مفهوم الجوار إلى مفهوم القرب: مقاربة منهجية في بناء المجالات الحدودية

محمد بوكبوط 39

الجوار الصعب بين الطرح الذاكراتي والمقاربة التاريخية: حالة المغرب والجزائر

جوار للتعايش والتواصل

مصطفى نشاط 53

الصلات العلمية بين المغرب الأقصى المريني وتلمسان الزيانية

محمد أعفيف 65

واحات توات عبر التاريخ، مجال للتواصل والتعايش

محمد الخداري 89

درقاوة والتواصل الاجتماعي والثقافي بين المغرب والجزائر نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 م

محمد أحميان 111

تحولات الجوار الريفي-الإيبيري خلال القرن التاسع عشر

المغرب وقضايا الجوار الصعب

عكاشة برحاب 145

مسألة الجوار بين المغرب والجزائر

زينب حمودة 175

الجوار المغربي الجزائري ما بين التوتر السياسي والتعايش الاجتماعي نماذج من النصف الثاني للقرن 19

عثمان المنصوري 187

دعم المغرب للمقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي من خلال الأرشيف الدبلوماسي البرتغالي

عثمان أولاد الفاضل 217

جهود المخزن المغربي من أجل الحفاظ على علاقات الجوار الحسنة مع إسبانيا خلال القرن التاسع عشر

أمينة واعزيز 231

المغرب والقضية الجزائرية في الأمم المتحدة (1956-1962) نموذج من أشكال تضامن دول الجوار

فاطمة بوشمال 247

إمارة شفشاون: طموح سياسي أجهضه جوار صعب

ملحق الصور التذكارية 267

الفهرس 279